IUG Journal of Islamic Studies
Peer-reviewed Journal of Islamic University-Gaza
E-ISSN: 2410-5201
P-ISSN: 2410-8715
IUGJEPS
Vol 30, No 4, 2022, pp 535 -552

Received on (13-11-2021) Accepted on (26-12-2021)

https://doi.org/10.33976/IUGJIS.30.4/2022/21

Structure of Hadith Texts in Sahih Al-BukhariA Study of the Relation between the Title of (the Hadith of the Cave) in the Prophets' Hadiths Book and the Hadiths Following it.

Dr. Muhammad A. Awad[*1]
Department of Islamic Studies - College of Arts - Al-Aqsa University – Gaza[*1]

[*]Corresponding Author: Barakah41@hotmail.com

Abstract:

The research deals with an analytical study of the hadith of the whore who watered a dog, so God forgave her, by looking at its linguistic and general meanings.

And it studies the relationship between the existence of this hadith once under the hadith of the fly and once under the hadith of the cave, with details explaining the relations between the hadiths in their places and these two headings, to provide a service that complements the explanation books and shows the relationship of these hadiths and their titles to reality.

The research was unique in creating a conceptual map that puts similar hadiths under the same title within one family, with commentary on them. God bless

Keywords: The fly, the whore, the address, the concept map.

هندسةُ المتون عند البخاريّ في صحيحه

دراسةٌ للعلاقة بين ترجمة (حديث الغار) في كتاب أحاديث الأنبياء والأحاديث تحته

د. محمد علي عوض[1]
قسم الدراسات الإسلامية-كلية الآداب-جامعة الأقصى-غزة[1]

الملخص:

يتناول البحث تحليلاً حديثيًّا لحديث البغيّ التي سقت كلبًا فغفر الله لها؛ وذلك بالنظر في معانيه اللغوية والإجمالية، ويدرس العلاقة بين وجود هذا الحديث مرّة تحت حديث الذبابة ومرة تحت حديث الغار، مع تفصيلات لبيان العلاقات بين الأحاديث في مظانّها وهذين التبويبيْن؛ لتقديم خدمة تكميلية لكتب الشروح ومزيد بسط لربط هذه الأحاديث وتبويباتها بالواقع، مع تفرّد البحث بعمل تأصيل لخريطة مفاهيمية تضع الأحاديث المتناظرة في الباب الواحد تحت عائلة واحدة مع التعليق عليها بملاحظات مهمّة ومطلوبة، عسى أن يكون هذا الأمر فاتحة لأعمالٍ مثلِه تغزَل على المنوال. والله الموفق.

كلمات مفتاحية: الذبابة، البغيّ، التبويب، خريطة مفاهيمية.

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد،

فإنّ خدمة السنة النبوية شرف، وإنّ تقريبها وتقديمها للناس تقديمًا حسنًا يظهر صلاحيتها الزمانية والمكانية، وإنها وحيٌ تجد من حيويته ما يصلح أن تستنبط قواعد جديدة منه وتستخرج أحكام معيشة وتستثمر في قراءات واقعية ما يجعل أنفاس النبيّ صلى الله عليه وسلم كأنها موجودة بيننا باستمرار.

ولذا عكف الباحث بالدرس على صحيح البخاري ليختار منه بابًا هو باب حديث الغار؛ لإبراز العلاقات بينه وبين الأحاديث المنضوية تحته، لا سيما وأنّ البخاريّ قد وضع في تراجمه من فقهه واستنباطاته ما حيّر العلماء وأعمل عقولهم على الدوام، لدرجة أنّ كثيرًا لا قليلًا من تراجمه لم يُكشف لها عن ساق من أجل معرفة أسرار صروحها الممرّدة، ويفتح الله على من شاء.

ولذا فإنّ ما دوّنه الباحث هنا من تعليقات على أحاديث كانت من بنات أفكاره واجتهاده المتواضع، لا سيما وأنّ العلاقات الترجمية لم يجدها حتى في تفسيحات مضائق الطاهر ابن عاشور، ولا يعيب أنه سلك هذا الطريق الذي لا شكّ هو فيه نبتة من ثمارهم اليانعة وومضة من أنوارهم الساطعة لا يقارنهم أحد ولا يدانيهم كبار عصرنا، إلا أنّ هذه المسألة التي تناولها البحث مسألة أخرى.

أهمية البحث وأهدافه:

1- يقدم البحث خدمة للسنّة من باب عرض الحديث أكاديميًّا مشفوعًا بخريطة مفاهيمية يُقرأ من خلالها الربط بين الأحاديث والتبويب بحديث الغار بدقة وأريحية، مع خدمة للباحثين في هذا المجال إجمالًا بوضع سؤالات تتناول المعروض في البحث ليكون أساسًا في مراجعة الطلاب والقارئين إجمالًا.

2- جعل البحث الدراسةَ التحليلية جزءًا من مشهد العمل؛ لأنه الأصلُ له، والأساس في فهم السياق تكامليًّا، فضلًا عن إرادته وقصده أن يكون مرجعًا لكل أفراد ما يرد فيه من موضوعات، فبذا يكون مغنيًا -بإذن الله- عن إراقة الأوقات في مواطنَ أخرى حقُّها أن تكون منقولةً هنا.

3- بيانُه علاقة كل حديث في عائلة الباب الواحد مع التبويب؛ في محاولة لبيان سبب كون هذا الحديث أحدَ أبناء هذه التبويبات وأفرادها رغم اختلاف الكتب.

من بواعث عمل هذا البحث:

1- يمرّ علينا أثناء الدراسة لأحاديث البخاريّ في ضوء شروحه المشهورة عدمُ ذكر العلاقة أو الاهتمام بها بين الأحاديث والتبويبات التي تنضوي في ظلالها، حتى إنّ الباحث تفاجأ أنه لم يجد في الكتب المختصّة بتجلية هذه العلاقات كـ"المتواري على تراجم البخاري"، لناصر الدين ابن المنيِّر، هذه التوضيحات لمحلّ الدراسة التي اختارها، فضلا عن ما وجده في كثير من الأحاديث غيرَ مهتمّ به، أو لعلهم كانوا يجمِلون ولا يفصّلون، ويقدّمون مفاتيح في هذا العلم؛ لأنّ أول الأعمال تكون غير متكاملة، والفضلُ للمتقدم، وهذا لا يتناسب مع الدرس الأكاديمي في عصرنا المعيش.

2- لم يجد الباحث في بعض الكتب المعاصرة كـ"النظر الفسيح عند مضائق الأنظار في الجامع الصحيح"، للعلامة الطاهر ابن عاشور، وكذلك شرح أبواب البخاري لولي الله الدهلويّ.

ملاحظـات مهمّة:

1- نقول ابتداءً: سبحان الله وكأنّ البخاري كان يتوضأ على العموم لصلاة ركعتين للحديث يضعه في صحيحه، إلا أنه كان يتوضأ الوضوء المعنوي الكامل ليستحضر أمثل التراجم مطلقًا، فيحتارُ الناس جرّاها ويختصمون!

2- شعر الباحث أن الإمام البخاري رحمه الله يستحضر كونَه أستاذًا يريد منك أن تكون صبورًا فتقرأ الباب كلَّه مهما طال؛ حتى تكتمل لك الصورة في بعض أحاديثه فهمًا، أو لمعرفة سبب ورود ونحو ذلك.

3- **تنبيه:** تناول الباحث مسائل البحث، وباشر التعليق واستكناه الروابط بين الروايات وتبويبها قبل استنباطه هذا من كتب الشروح التي لم يرجع إليها إلا نادرًا؛ وذلك لرغبته في أن يكون الربط واقعيًّا منزوعًا له من العصر المعيش، على أنّه يُعلم أنّ هذا أساسًا تدريب عمليّ على مثل هذه الأعمال العلمية.

4- اختار الباحث التبويب الأصل من كتاب بدء الخلق، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم..، والهدف من ذلك التدريب على محاولة فهم عقل البخاريّ العظيم في بيان العلاقات بين تراجمه النامّةِ عن فقهه المتفرّد والأحاديث التي في ظلالها.

5- قصد الباحث بـ(هندسة المتون) أمرين؛ أولهما السبب الذي يحدوه لتكرار الحديث نفسه أو تقطيعه أحيانًا في أكثر من موضع، ويقدّم من هذا الباب نموذجًا تطبيقيًّا على ذلك، والثاني استنباط أسباب توزيع البخاريّ للأحاديث نفسها على الترتيب الذي يذكره في الباب نفسه، والأسباب التي تجعله يكرّر الحديث نفسه في موضعين مختلفين من الباب ذاته.

خطّة البحث:

ينقسم البحث إلى مبحثين، وخاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات؛

المبحث الأول: توطئة فكرة البحث في سياق شرح حديث البغيّ ساقية الكلب، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب **الأول:** علاقة الحديث بالترجمة بحديث الذبابة.

المطلب **الثاني:** نظرة في كون الحديث في باب: حديث الذبابة.

المطلب **الثالث:** مناقشة الإمامين العيني وابن حجر في استغرابهما التبويب.

المبحث الثاني: بيان العلاقات بين الأحاديث والتبويب بحديث الغار، وفيه مطلبان:

المطلب **الأول:** علاقة الأحاديث بالتبويب حسب ترتيب ذكرها.

المطلب **الثاني:** خريطة مفاهيمية للعلاقة بين التبويبات والأحاديث تحتها.

ثم ما تلا ذلك من خاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات،،

وقد استخدم الباحث لهذا البحث **المنهج الاستنباطي التحليليّ**.

المبحث الأول: توطئة فكرة البحث في سياق شرح حديث البغيّ ساقية الكلب

يستعرض الباحث في هذا السياق الفكرة التي دعت إلى صياغة هذا البحث إجمالًا؛ من خلال نموذج يدرس فيه حديث البغيّ التي سقت كلبًا، وسبب وضع البخاريّ لحديثها في حديث الذبابة مرة وحديث الغار أخرى، وقد وقع الاختيار عليه؛ لغرابته في بابه، ولأمور يذكرها في تضاعيف هذا المبحث، ونصّ الحديث ومتنه الجامع كما يلي:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "غُفِرَ لِامْرَأَةٍ مُومِسَةٍ[1] **(بَغِيّ**[2] مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ[3]**)، مَرَّتْ بِكَلْبٍ عَلَى رَأْسِ رَكِيٍّ (يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ**[4]**) يَلْهَثُ (فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيفُ بِبِئْرٍ، قَدْ أَدْلَعَ**[5] لِسَانَهُ مِنَ الْعَطَشِ[6]**)، قَالَ: كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، فَنَزَعَتْ خُفَّهَا (مُوقَهَا**[7]**)، فَأَوْثَقَتْهُ بِخِمَارِهَا، فَنَزَعَتْ لَهُ مِنَ المَاءِ، (فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ، فَسَقَتْهُ إِيَّاهُ**[8]**) فَغُفِرَ لَهَا بِذَلِكَ (بِهِ**[9]**)".**[10]

---

(1) **مومسة:** زَانِيَة، ويُجمع على: مومسات ومياميس ومواميس، وهنّ المجاهرات بِالْفُجُورِ. يُنظر: العيني، بدر الدين، عمدة القاري (15/ 201).

(2) **بغيّ:** زانية، والبغي: التعدّي، وهي بفجورها تعدّت حدود الله. اللسان. يُنظر: ابن فارس، أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، (3/ 432).

(3) البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، (ك أحاديث الأنبياء، ب حديث الغار)، ح 3467.

(4) **يُطِيفُ:** من طوافه ودورانه حول البئر بحثًا عن النجاة. يُنظر: ابن فارس، أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، (3/ 432)، **رَكِيّ:** جنسٌ للرَّكِيّة، وهي الْبِئْر، وجمعها: ركايا. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (2/ 261).

المطلب الأول: علاقة الحديث بالترجمة بحديث الذبابة:

يقدّم الباحث هذا العرض لهذا الباب لوجود حديث الباب عن البغيّ المغفور ذنبُها في إطار التدريب التقديميّ لما نريد صناعته مع أحاديث (باب حديث الغار)، ثم يشرع بعد ذلك في هذا الباب مع بيان علاقة كل حديث من أحاديثه به، في إطار اجتهاديّ غالبًا:

المطلب الثاني: نظرة في كون الحديث في باب: حديث الذبابة

واسم الباب كاملا: إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه، فإن في إحدى جناحيه داء وفي الأخرى شفاء

يرى الباحث أنّ جامع الأحاديث المذكورة في الباب أنّ:

(1) الناس قد يستهينون بأمور لأنها تبدو في نظرهم صغيرة وهي عند الله عظيمة.

(2) وقد لا يلتفتون إلى حلول سهلة وميسورة وفي متناول اليد ويتأففون منها وقد يشمئزون لأنهم لم يروا الصورة المتكاملة للمشهد؛

1- فإنّ أحدهم مثلا لو وقعت ذبابة في كوب شايه أو قهوته ازدرى الأمر ولم يرضَ أن يتم شرابًا، وله ذلك، لكن ماذا عساه يقول لو أنّ هذا المشهد حدث معه في منتصف طبخه مرقة فيها أربع دجاجات أو واحدة أو أكثر، ألا تراه حينها سيستدعي الحديث ويعمل بإرشاده!

2- والحديث الثاني هو حديث الباب، وهو إسقاءُ كلبٍ شديد العطش، من بغيّ متاجرة بعرضها، ربما هي لم تلتفت إلى عملها هذا لذوبانه عندها تمامًا في بحر فجورها، ومع ذلك كان سببًا في مغفرة الله لها.

3- ثم حديث: "**لاَ تَدْخُلُ المَلاَئِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ صُورَةٌ**"[11]، وهي من الأمور التي تستخف بها الناس وتستقلّها، رغم أنّ هناك إرشادات نبوية لهم بألا تكون الصورة وِجاه القبلة وألا تكون للتعظيم، وألا يكون الكلب متّخذًا إلا لسببٍ مشروع، فلمَ التجوّز؟!

4- ثم حديث ابن عمر رضي الله عنهما "**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ بِقَتْلِ الكِلاَبِ**"[12]، وهي الكلاب المسعورة الضارية التي تعتدي على الناس وممتلكاتهم، فلو لم يبادر قادرٌ على قتلها إلى قتلها لكان سببًا في قتل صغير أو كبير أو غير منتبه أو إتلاف مواشٍ أو أمور لا يُلتفت إليها ف حال الوقاية ولا يُستطاع علاجه في الوقت المناسب.

5- وجعلنا الضابط لقتل الكلاب الضارية؛ لأنها في الحديث الموالي "**مَنْ أَمْسَكَ كَلْبًا يَنْقُصْ مِنْ عَمَلِهِ كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطٌ إِلَّا كَلْبَ حَرْثٍ، أَوْ كَلْبَ مَاشِيَةٍ**"[13]، وحديث "**مَنِ اقْتَنَى كَلْبًا، لاَ يُغْنِي عَنْهُ زَرْعًا وَلاَ ضَرْعًا، نَقَصَ مِنْ عَمَلِهِ كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطٌ**"[14]، وبهذا يتّضح الأمر بالدليل؛ كأنّ البخاري ذكر القاعدة ثم ذكر استثناءها؛ كأنه عطف مقيّد على مطلق.

---

(5) **أَدْلَعَ لسانه**: أخرجه. الزمخشري، جار الله محمود، الفائق في غريب الحديث، (1/ 434).
ويُقَالُ: **لَهَثَ الْكَلْبُ**؛ إِذَا خَرَجَ لِسَانُهُ مِنَ الْعَطَشِ وَالتَّعَبِ. القاري، الملا علي، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، (4/ 1339).

(6) النيسابوري، مسلم، الصحيح، (ك السلام، ب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها)، ح 2245.

(7) البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، (ك أحاديث الأنبياء، ب حديث الغار)، ح 3467.

- **مُوقِهَا**: ضربٌ [نوعٌ] من الْخفاف فارسية معربة، وجمعُه أمواق. يُنظر: الزمخشري، جار الله محمود، الفائق في غريب الحديث، (1/ 434).

(8) النيسابوري، مسلم، الصحيح، (ك السلام، ب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها)، ح 2245.

(9) البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، (ك أحاديث الأنبياء، ب حديث الغار)، ح 3467.

(10) البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، (ك بدء الخلق، ب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه، فإن في إحدى جناحيه داء وفي الأخرى شفاء)، ح 3321.

ونضيف هنا من الملا علي: "**كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ**: قَارَبَ أَنْ يُهْلِكَهُ، **فَنَزَعَتْ** خُفَّهَا: خَلَعَتْهُ، **فَأَوْثَقَتْهُ**: شَدَّتْهُ، **بِخِمَارِهَا**: بَدَلًا مِنَ الْحَبْلِ وَالدَّلْوِ، **فَنَزَعَتْ**: جَذَبَتْ بِهِمَا". القاري، الملا علي، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، (4/ 1339).

(11) البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، ح 3322.

(12) البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، ح 3323.

المطلب الثالث: مناقشة الإمامين العيني وابن حجر في استغرابهما التبويب:

يقول العينيّ –رحمه الله–: "لا تتأتي المطابقة هنا إلا بينه وبين الترجمة المتقدمة، وليس له مطابقة بهذه الترجمة أصلا، وَقد ذكرنا: أن هذه التَّرجَمَة ساقطة عند غير أبي ذر".(15)

ذلك أنّ هناك احتمالًا أنه لم يلُح له وجهُ علاقة بين الترجمة والحديث هنا، رغم أنّ البخاريّ نفسَه في كثير من تراجمه يحتاج إلى إعمال عقل شديد وتقديم وتأخير واستنطاق المنطق حتى نحاول مقاربة الهدف الذي جعله يسوق الترجمة الفلانية للحديث الفلانيّ، ما يجعلنا نتأنّى، لا سيما وأنّه قد يُستدرك على الإمام العينيّ بأنه يخبرنا أنّ الترجمة موجودة عند أبي ذرّ، فلعلّه كان من الأنسب أو الأسلم أن يختار تأكيد سقوطها، مع القول: وإذا صحّ وجودها، فالعلاقة بينها والحديث على ما يأتي، وهو ما حاوله الباحث هنا قبل أن يقع على هذه المداخلة الجليلة للعينيّ رحمه الله.

ويبدو أنّ العينيّ تابع في ذلك ابن حجر رحمه الله؛ إذ يقول: "وقع قبل هذا الحديث (يعني حديث أبي هريرة في الذباب إذا وقع في الإناء) في رواية أبي ذر عن بعض شيوخه: باب إذا وقع الذباب، وساقة بلفظ الحديث، وحُذف عند الباقين، وهو أولى؛ لأنّ الأحاديث التي بعده لا تعلّق لها بذلك".(16)

ويظهر للباحث أنّ وجود هذا الحديث تحت هذا التبويب صحيحٌ، وله وجه محتمَل كما أشرنا له؛ بل إنّ طبعة دار التأصيل، وهي من أدقّ الطبعات أثبتته في هذا الباب، وهي التي ترجع إلى مخطوطات كثيرة، والقائمون عليها مجموعات وليس واحدًا(17)، بل هو موجود كذلك في الطبعة السلطانية التي اعتمدت على اليونينية؛ أدق نسخ البخاري.(18)

المبحث الثاني: بيان العلاقات بين الأحاديث والتبويب بحديث الغار

وحديث الغار، وهو آخر باب من كتاب أحاديث الأنبياء في صحيح البخاريّ، وارتأى الباحث أن يجعل النظر في سبب جعل حديث البغيّ جزءًا من هذا الباب في سياق النظر في العلاقة مع أحاديث الباب والترجمة عمومًا، وهو مقصود هذا البحث إجمالًا؛ لمعرفة هندسة المتون عند الإمام البخاريّ رحمه الله.

وحديثُ الغار هو حديث الثلاثة الذين انسدّت عليهم فتحة غار بصخرة عظيمة في يوم ماطر حبستهم عن الخروج لفضاء الحرية، فاستذكر كل واحد منهم أصلح عمل قام به في حياته، وكان سببًا في لطف الله به، وعلامة على توسلهم الصالح بالصالح من العمل؛ إذ توسّل الأول ببره والديه وتفضيلهم على جميع أهل بيته، والثاني بعفته وطهارته رغم قدرته على مواقعة الحرام، والثالث بتنمية مال الأجير وحفظه وإعطائه إياه كله غيرَ منقوص عند عودته، وهذا يعني أنّ هذا المومس البغيّ كان مدّخرًا لها عند الله عملها هذا مع الكلب، بل وجعله سببًا لغفرانه ذنبها لها.

قال الباحث: والتسمية بالغار فيها لطيفة جميلة؛ إذ هو فتحة صغير في فم جبل، يشير بواقعه المعنويّ إلى أنّ الأمر مهما بدا قليلا أو صغيرًا لا يُلتفت إليه إلا أنّه ربما يكون الحلَّ الوحيدَ في مشهد مغلق أو البياض الخالص في سوادٍ صرف، وهو المشهد نفسه لفجور البغيّ الأسود في مقابل عملها الأبيض الخالص بإسقاء الكلب؛ ما يعني جمالَ وشديدَ أهمية أن يكون للمرء خبءٌ خيرٌ يذدخره لمغلقات الأيام وتحوّلات الزمان؛ كقرش أبيضَ في جوٍّ أسودَ.

(13) البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، ح 3324.
(14) البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، ح 3325.
(15) العيني، بدر الدين، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (15/ 201).
(16) ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري، (9/ 673).
(17) يُنظر: البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، طبعة دار التأصيل (342/4)، ح 3324.
(18) يُنظر: البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، طبعة دار طوق النجاة (130/4)، باعتناء: محمد زهير الناصر.

والذي يظهر أنّ الذي يجمع أحاديثَ الباب أنّ:

1- الرحمة المطلقة ليست إلا لله سبحانه.

2- وأنّ الناس إذا كانوا في كرب وشدة ولأواء كحالِ من انسدّت عليهم فتحةُ غار ولم يستطع خلاصًا، ولم يكن دونه إلا الله سبحانه وتعالى؛ فهو تارة -سبحانه- ينجده مباشرة كإنطاق الرضيع لأمّه، وإنجاء البقرة من ضرب صاحبها، والشاة من أنياب الذئب، والكلب من براثن العطش الشديد، ومجموع الهرَرة في محضر مقتل إحدى أخواتها ظلمًا، أو ينجيه الله تعالى بعمل صالح يقدمه بين يدي تضرّعه الصادق.

3- وفي هذا إشارة إلى أنّ المرء يكون في كمالِ الصدق وتمام الرقة والخشوع عندما يكون في شدة وكرب ولأواء، فتكون الاستجابة الربانية حالّةً وحاضرة مع استحقاقه لها.

المطلب الأول: علاقة الأحاديث بالتبويب حسب ترتيب ذكرها:

1- شغل التفكيرَ بالمستقبل امرأةٌ مرضعٌ في حال رضيعها[19]، حتى تمنّت أن يكونَ ابنُها مثلَ رجل ثريّ فارهِ المركب رغم أنه كافر، ولعلها لم تدرِ، ودَعت ألا يكون ابنها كالمرأة المقذوفة في عرضها، وهي من هذا براءٌ، ثم أكرمها الله بإزاحة هذه الصخرة التفكيرية المعنوية عن عقلها وصدرها بإنطاق ابنها لها في مهده موجّهًا لها رسالة مباشرة من الله (1) بأنّ الأمور ليست كما تبدو غالبًا، (2) وأنّ ما عند الله خير وأبقى، (3) وأنّها إذا ربّت ابنها على الصلاح وعلّمته، فقد أعطته العدة والإمكان ليكون موفقًا فاعلا مميزًا في مناكب الحياة وما بعدها.

2- حديث الباب؛ وهو ما يعني تأكيدًا أنّ المرء الذي له خبءٌ من عمل صالح يفيده عند اشتداد الأمور واسوداد الخطوب، ما يخلصه من أي حبس في واقع الحال أو النفس.

3- حديث معاويةَ رضي الله عنه في تحريم وصلِ النساء شعورَهنّ، وتذكيره بأنّ النبيّ قال "**إِنَّمَا هَلَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَهَا نِسَاؤُهُمْ**"[20]، وتعلُّقُ هذا بـ(حديث الغار) من باب:

1- أنّ العلم من أقوى الأسباب على التخلص من الأزمات والإشكالات.

2- وكذلك قراءة التاريخ أو استحضاره.

فبالعلم وقراءة التاريخ يستطيع المرء أن يختصر الزمان ولا يكرر القبيح؛ إذ من شأن هذا القبيح أن يكون صخرة تسدّ على الناس معاشهم والخروج من غارهم الحاليّ إلى فضاء التألّق والانطلاق، فيأتي العلماء ليحذروهم من الحرام والقبيح؛ لكي لا تتدحرج الصخرات أمامهم فتمنعهم من رؤية الوصال الحقيقي مع شريعة الله سبحانه.

3- وكذا مع قراءة التاريخ التي هي جزء من علم العالِم أو إخبار النبيّ وحيًا، حتى لا يقع الناس في المحذور مثلهم فيعاقبوا بمثل عقابهم؛ مثل اتخاذ نساء بني إسرائيل وصلات لشعورهنّ رغم أن الواصلة ملعونة.

4- وفي هذا تعزيز لدور أولياء الأمور والأزواج في متابعة من يلونهم؛ لأنّ الفتنة لا تصيب مرتكب الظلم أو المخالفة وحده بل تعمّ بنارها وانحدارها أولئك القادرين على الإنكار ويسكتون.

---

(19) عن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: "بَيْنَا امْرَأَةٌ تُرْضِعُ ابْنَهَا إِذْ مَرَّ بِهَا رَاكِبٌ وَهِيَ تُرْضِعُهُ، فَقَالَتِ اللَّهُمَّ لاَ تُمِتِ ابْنِي، حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ هَذَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ رَجَعَ فِي الثَّدْيِ، وَمُرَّ بِامْرَأَةٍ تُجَرَّرُ وَيُلْعَبُ بِهَا، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، فَقَالَ أَمَّا الرَّاكِبُ فَإِنَّهُ كَافِرٌ، وَأَمَّا المَرْأَةُ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ لَهَا تَزْنِي، وَتَقُولُ حَسْبِيَ اللَّهُ، وَيَقُولُونَ تَسْرِقُ، وَتَقُولُ حَسْبِيَ اللَّهُ". البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، ح 3466.

(20) البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، ح 3468، 2488.

5- وهذا يعني المسؤولية المشتركة؛ فإغلاق باب التوفيق على عائلة أو بلد قد يكون بسبب واحد فيها أو رهط يفسدون ولا يصلحون، حتى الثلاثة أصحاب الغار اشتركوا في سبب الخروج منه، وهذا يعني هنا أن التساهل مع أولئك الذين ينقبون السفينة المجتمعية من أسفل بالتجاوزات الشرعية يظنونها هيّنة وهي عند الله عظيمة، لن يغرقوا أنفسهم وحدهم، بل جميع من في السفينة، كما تسبّبوا في أن تكون الصخرة جاثمة غير متحركة فتميت الناس بغبائهم حقيقة أو معنويًّا.

وقد سأل معاوية رضي الله عنه الناسَ: "**أين علماؤكم**"، و"فيه إشارة إلى قلة العلماء يومئذ بالمدينة، ويحتمل أنه أراد بذلك إحضارهم ليستعين بهم على ما أراد من إنكار ذلك، أو لينكر عليهم سكوتهم عن إنكارهم هذا الفعل"[21].

4- قد نعجب من جعل البخاريّ حديث إلهام عمر ضمن عائلة باب حديث الغار؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "**إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ، وَإِنَّهُ إِنْ كَانَ فِي أُمَّتِي هَذِهِ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ**"[22]، وله الحقّ في ذلك مثلنا، لكن:

- فيما يظهر أنّ البخاريّ أراد في هذا الباب إجمالًا ذكر التفرّدات؛ فالمحدَّثون أفراد آحاد غير معروفين، وإن عُرفوا فهم معدودون نسبتهم في الناس كنسبة فتحة الغار إلى الغار قلةً ونزورةً.

- كما أنّ هنا ملمحًا آخرَ؛ وهو أنّ الأمة لا تخلو من خير، وأن عمرَ أو أي محدّث يمثل أملا حافظا ونورًا مدّخرًا كلما ضاقت عليهم أحوالهم فزعوا إليه فأصدرهم فاهمين مصداقًا لقوله تعالى "**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ**" [النساء: 83].

- وينضاف هنا أمر ثالث؛ أنه إذا استشرفنا حديث الغار فهمنا أن لعمر خبئًا جليلا من عمل عظيم جدًّا لم يطّلع عليه أحدًا جعله يصل إلى درجة الإلهام.

سؤالٌ وجوابُه: وإن خطر ببالك أن أبا بكر رضي الله عنه أرفع منه درجة وقدرًا، فلمَ لمْ يحظَ بهذه الدرجة؟

لفتْنا عنايتَك **أوّلًا** إلى أنّ هذه أرزاق من الخالق ابتداءً، والناس متفاوتون في تفاريق أمورهم وإن رفع الله بعضَهم فوق بعض درجاتٍ، **وثانيًا** فإنّ الأمر متعلق بطبيعة الشخص نفسه؛ فأبو بكر عادته السكوت وطبعه الهدوء والامتلاء بالتفكير والإبداء والإعادة، أما أبو حفص عمر فديدنه الجرأة وهجّيراه المبادأة والمبادرة فضلًا عن أنّ الإلهام جريان الحق على لسان صافي القلب مكرمة من الله وتمييزًا له عن أقرانه وأضرابه.

وثالثًا: فإنّ تميز المرء في أمرٍ على من هو أفضل منه لا يجعله متميزًا عليه من كل وجه.

5- لا يزالُ بابُ (حديث الغار) ينشر فينا الأمل بذكر قصة الرجل قاتل المئةِ نفسٍ[23]، وهو كحديث البطاقة[24] التي احتوت على الشهادتين في مقابل سجلاتٍ تسعة وتسعين كلها مناكير ومظالم، استحقّ معها دخول النار إلا أنّ الشهادتين وقفتا حاجزًا دونه،

(21) ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري، (10/ 375).

(22) البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، ح 3469.

(23) البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، ح 3470.

(24) وهو حديث عَبْد اللَّهِ بْن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَسْتَخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ قَالَ: لَا، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَلَكَ عُذْرٌ، أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَيُبْهَتُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً، لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ، فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: أَحْضِرُوهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ"، قَالَ: "فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ"، قَالَ: "فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، وَلَا يَثْقُلُ شَيْءٌ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ". ابن حنبل، أحمد، المسند (11/ 570) ح 6994، قال الباحث: إسناده صحيح؛ رجاله ثقات.

وكانتا سببًا في عصمته من النار، كما كانت بطاقةُ التوبة النصوح والعمل الصادق للتخلص من بيئة الفساد والسماح به سببًا في غفران ذنوب شديدة من قتل مئة نفس دون أدنى وجه حقّ.

والرسالة هنا أنّه مهما كانت حالة المرء من سوء وفجور فلا يضيع عند الله له شيء، وربما يكون صنع عملًا صادقًا كان شديدَ الإخلاص فيه والتضرّع لربه سبحانه، ما يجعل صخرةً من سجلات ذنوب ومعاصٍ تذوي وتزول ليتبدّى معه فرج الله الذي لا يأتي من سواه حقًّا وحقيقة، فاعتصموا بحبله وتوبوا إليه وأمّلوا فيه خيرات واعملوا صالحات تنجوا.

وحديثُ قاتل المئة معجِب؛ إذ إن الله جعل له كرامةً تغييرَ منار الأرض وحدودها لتكون في خدمته ومصلحته "**فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ** [الأرض الطيبة] **أَنْ تَقَرَّبِي، وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ** [أرضه السابقة] **أَنْ تَبَاعَدِي، وَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَهُمَا، فَوُجِدَ إِلَى هَذِهِ** [الأولى] **أَقْرَبَ بِشِبْرٍ، فَغُفِرَ لَهُ**"، وكأنّ هذه التوبة غطّت القتلَ كلَّه، وزادت في حسناته وإحسانه حتى يصل إلى هذه المرحلة من الرضا الربانيّ العظيم.

ويذكرنا هذا بالرجل الذي سأل عنه أبو هريرة: "**حَدِّثُونِي عَنْ رَجُلٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ لَمْ يُصَلِّ قَطُّ**"، فلا يجيبه الناس، ويسألونه من هو؟ فيقول: "**أُصَيْرِمُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ عَمْرُو بْنُ ثَابِتِ بْنِ وَقْشٍ**"، وفي الحديث أنّ قصته أنّه: "كَانَ يَأْبَى الْإِسْلَامَ عَلَى قَوْمِهِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى أُحُدٍ بَدَا لَهُ الْإِسْلَامُ فَأَسْلَمَ، فَأَخَذَ سَيْفَهُ، فَغَدَا حَتَّى أَتَى الْقَوْمَ، فَدَخَلَ فِي عُرْضِ النَّاسِ، فَقَاتَلَ حَتَّى أَثْبَتَتْهُ الْجِرَاحَةُ، قَالَ: فَبَيْنَمَا رِجَالُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ يَلْتَمِسُونَ قَتْلَاهُمْ فِي الْمَعْرَكَةِ إِذَا هُمْ بِهِ، فَقَالُوا: وَاللهِ إِنَّ هَذَا لَلْأُصَيْرِمُ، وَمَا جَاءَ؟ لَقَدْ تَرَكْنَاهُ وَإِنَّهُ لَمُنْكِرٌ لِهَذَا الْحَدِيثَ، فَسَأَلُوهُ مَا جَاءَ بِهِ؟ قَالُوا: مَا جَاءَ بِكَ يَا عَمْرُو، أَحَدَبًا [عطفًا وحنوًّا] عَلَى قَوْمِكَ، أَوْ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ؟ قَالَ: بَلْ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ، آمَنْتُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَأَسْلَمْتُ، ثُمَّ أَخَذْتُ سَيْفِي فَغَدَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ، فَقَاتَلْتُ حَتَّى أَصَابَنِي مَا أَصَابَنِي، قَالَ: ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ فِي أَيْدِيهِمْ، فَذَكَرُوهُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: "**إِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**".[25]

6- أما حديث البقرة[26] التي تكلمت معترضةً على صاحبها، والذئبِ الذي حكى للراعي عندما استنقذ منه شاةً عدا عليها، وتعقيب النبيّ ﷺ بأنه يؤمن بهذا -أي أنّ الحيوانيْن تكلما- هو وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما، رغم أنّهما لم يكونا موجودين وقتَ حديثه، فله بتعلّقه بالتبويب بحديث الغار ثلاثةُ وجوه:

أولُها: أنّ الحيوان لا يتكلم ولمّا أنطقه الله بلسان البشر كان هذا في حكم النادر القليل، وليكون هذا من قبيل صنيع الخير من هذين الحيوانين ليكونا رسوليْن نائبين عن سائر الحيوانات وليس البقر والشياه وحدها.

وإن سألتَ: ألم يكن هذا ملكًا خاصًّا بسليمانَ عليه السلام؟

أجبنا بجوابين؛ **أولهما** أنه كان خاصًّا بسليمان في عموم الجن خدمة وتسخيرًا وفي عموم الحيوان فهمًا وتكليمًا وخدمةً، وإذا استُثني من ذلك نبيٌّ كان في مسائلَ آحادٍ على سبيل المعجزة لتحدّي قومه، وليس على سبيل الاستمرار، **والثاني** أنّ سليمان عليه السلام كان يفهم لغة الحيوان والطير من غير ترجمان إلى لسان بشريّ، بل هو يفهم من أصواتهم وحركاتهم مرادَهم، وهذا لم يكن لأحد سواه عليه السلام. أرأيت كيف كان وحده الذي تبسّم ضاحكًا من قول النملة "**أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**" [النمل: 18]، ولم يتبسم سواه؛ لأنه الوحيد الذي فهم اللغة النمليّة.

---

(25) ابن حنبل، أحمد، المسند (39/ 41) ح 23634، قال الباحث: إسناده حسن. وهو كما قال؛ إذ فيه محمد بن إسحاق: صدوق [ابن حجر، أحمد بن علي، التقريب، رقم 5725]، وقد صرّح بالسماع.

(26) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، صَلاَةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: "بَيْنَا رَجُلٌ [من بني إسرائيل] يَسُوقُ بَقَرَةً إِذْ رَكِبَهَا فَضَرَبَهَا، فَقَالَتْ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا، إِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْحَرْثِ"، فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ بَقَرَةٌ تَكَلَّمُ، فَقَالَ: "فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا، أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، -وَمَا هُمَا ثَمَّ- وَبَيْنَمَا رَجُلٌ فِي غَنَمِهِ إِذْ عَدَا الذِّئْبُ، فَذَهَبَ مِنْهَا بِشَاةٍ، فَطَلَبَ حَتَّى كَأَنَّهُ اسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ، فَقَالَ لَهُ الذِّئْبُ هَذَا: اسْتَنْقَذْتَهَا مِنِّي، فَمَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ، يَوْمَ لاَ رَاعِيَ لَهَا غَيْرِي"، فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ ذِئْبٌ يَتَكَلَّمُ، قَالَ: "فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، -وَمَا هُمَا ثَمَّ-". البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، ح 3471. **ويوم السبع** حين يتركها الناس هملا لا راعي لها فيبقى لها السبُع راعيًا!

ثانيها: أنّ رسالةَ التعليم من البقرة أو الاستغرابِ من الذئب، كانا في جهتين متقابلتين؛ إذ **الأُولى** ليكون الإنسانُ رفيقًا بالحيوان، **والثانية** أن يكون حريصًا على مواشيه ويجهد لها في الحماية؛ لأنها أمانة وضمن ما استرعاه الله تعالى، وهذا من جميل الأعمال الصالحة؛ لأنّ المرء قد يستهين نوعيْ استهانة إذا تعامل مع الحيوان؛ أولهما زعمُ نفسه له أنّ الحيوان يتحمّل فيضربه ضربًا يحطم جبالًا، وهذا حرام، أو ربما يكون قادرًا على حمايته فيستهين بذلك ويتكاسل ويتوانى ولا يشدّد في الحماية ولا يجدّ في البحث بدعوى أنّ المفقود أو المفترَس حيوان وليس إنسانًا، وهاتان الحالتان استهانة وظلم كبيران.

ويُستفاد من هنا أن ادّخار هذا العمل الصالح –مراعاة الحيوان إجمالًا لا سيما في عاديّات المسائل– من شأنه أن يكون خبئًا يدفع عن المرء صخرات نفسية ومعنوية أو حقيقية تعترض لها في سبيل حياته، فيكون غارُه مفتوحًا على الدوام لكل خير وسعد وراحة.

ثالثُها: أنّ النبيّ ﷺ اختار من عموم الصحابة وزيريْه العمريْن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، وكأنه يتحدث بلسانهما؛ إذ لم يُشهد عليهما مخالفة للنبيّ ﷺ فيما تعلّق بالغيب؛ فحديث النبيّ ﷺ عن الغيب عندهم كحديثه عن الحضور كلاهما عندهما سواء.

7– يحدّثنا حديث شراء العقار والذهب المدفون فيه[27]؛ أنّ الصخرة قد تجثم على غار قلب الإنسان من السَّعةِ وليس شرطًا أن تكون من الضيق أو التساهل؛ إذ ربما فكّر مشتري العقار كثيرًا، ونظر، وسها، وقدّر، وفكّر، وتدبّر، وتقدّم وتأخّر، وتراجع أو تقهقر، واستخدم عقله ومنطقه، واستدعى قلبه ورُوحَ القانون، وتخيّل نفسه لو كان البائع، ونحو ذلك، ممّا يشكل حالة غاريّة يصحبها صخرةُ التردّد، لكن لمّا أخذ المشتري قرارًا بِرَدّ الشيء تورّعًا على أنّ البائع قد لا يكون داريًا بالمدفون في عقاره أو ربما نسيه، فتح الله له بابًا جميلًا لم يكن متصوّرًا ولا منتظرًا، حتى إنك لا تدري من أي الثلاثة تعجب؛ من المشتري وعدم امتطائه للشبهات وتصدّيه للشهوات، أم من صاحب العقار الذي لم يحضره طمعٌ ولم يستسلم لسهولة الحال، أم للقاضي الحكيم الذي فتح الله على يديه التوجيه السليم بجعل المشتري والبائع مشتركين في الذهب، وهداهما لطريق الصدقة كذلك.!

8– هذا حديث معجِب –حديث عدم جواز فرار المطعونين من أرض الوباء[28]– تحضرنا علامات التعجّب كلها ونحن نتخيلنا نسأل البخاريّ: لماذا بوّبتَ لها بهذا التبويب (حديث الغار) أو جعلته ضمن أفراد عائلته؟

إلا أنّه قد يكون صنع هذا ليبيّن لك أنه ليس بالضرورة أن تمثّل لك حالة إزالة الصخرة المجالَ الوحيد للتخلص من شدة الغار وتبعاته، بل قد يكون على العكس من ذلك تمامًا؛ بأن تحرص على بقائها ووجودها في فم الغار حمايةً للإنسانية وفداءً لها، وهو أن تستسلم لقضاء الله وقدره بعد أن تأكدت ومن معك من الإصابة بهذا المرض الخبيث الذي لا حلّ منه إلا بعدم الخروج من حيّزه المكانيّ؛ لأنّ هناك مسؤولية تُجاه الإنسانية، مع الدعاء والابتهال إلى الله والصبر الحقيقيّ واحتساب الأجر عند الله، واستشعار أن المطعون شهيد حقيقة لا بمجرد ترديد اللسان وتكذيب الميدان، وهذا يعني أنّ الغار هنا هو آخر المحطّات للمطعونين في حياتهم، وعليهم ألا يسمحوا بتحريك الصخرة التي تسدّ فمه، حتى لا يسمحوا كذلك لمن يحترق شوقًا لأهله في الداخل أن تأكله عاطفته فتدفعه لإلقاء نفسه في النيران المحققة، فضلا عن احتمال أن يكون هناك أناس لم يدروا بحالة الطاعون في تلك البلد، فتتسبب غفلتهم في موتهم.

---

(27) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا لَهُ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَى العَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ، فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى العَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي، إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأَرْضَ، وَلَمْ أَبْتَعْ مِنْكَ الذَّهَبَ، وَقَالَ الَّذِي لَهُ الأَرْضُ: إِنَّمَا بِعْتُكَ الأَرْضَ وَمَا فِيهَا، فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ، فَقَالَ: الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟ قَالَ أَحَدُهُمَا: لِي غُلاَمٌ، وَقَالَ الآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ، قَالَ: أَنْكِحُوا الغُلاَمَ الجَارِيَةَ وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا". البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، 3472.

(28) عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، أَنَّهُ سأل أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، مَاذَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الطَّاعُونِ؟ فَقَالَ أُسَامَةُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الطَّاعُونُ رِجْسٌ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ، فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ، وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا، فِرَارًا مِنْهُ". البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، 3473، 3474.

9- ووجْهُ كون حديث استشفاع أسامة بن زيد رضي الله عنهما في المرأة المخزومية التي سرقت[29]؛ استثمار للموقف لتأكيد أن المسلمين جسد واحد يسعى بذمتهم أدناهم، لو أنّ أحدهم اشتكى لتداعى له سائر المؤمنين يسهرون على راحته كأنهم المصابون بالحمّى دونه، ولا يجوز أن يكون هناك تدافع لتخليص مسلم من مصيبة معينة؛ لأنه غنيّ أو ذو مركز اجتماعي أو صاحب جاه، في حين لا يتباعث المسلمون لتخليص مسلم عنده الإشكال نفسه لأنه ليس على تلك الحال التي للأوّل، بل يجب أن يستوي في ذلك الجميع، ويشترك الجميع في رفع الصخرة هذه من خارجٍ عن المسلم أو المحتاج لكونه مسلمًا أو محتاجًا من باب انتمائنا للإنسانية عمومًا؛ إذ "**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**" [الأنبياء: 107]؛ ما يعني أنّ الصخرة قد يكون العامل في رفع بلائها عن من هم داخل الغار راجعًا لأولئك العالِمين بحال المحجوزين، مع الأخذ بعين الاعتبار فقه الأولويات؛ بمعنى لو افترضنا أنّ هناك غارَيْن سدتهما سيولٌ ونحوُ ذلك، قدّمنا في الإنقاذ الصغار والنساء أو الطاعنين في السنّ ومن لا يستطيعون خدمة أنفسهم أو الدفاع عنها، على غيرهم من الشباب والقادرين، كما نقدم المصابين على الأصحّاء، ومن نمتلك القدرة على الوصول إليهم على من لا نمتلكها لأجلهم. المهمّ ألا يحضرنا في ذلك مركز من وراء الصخرة بحالٍ.

وفي الحديث إشارة أخرى إلى بعدٍ يمكن حُسبانه على الإدارة واستخدام المتاح وعدم اليأس؛ إذ علم المستشفعون في تحديد الخيارات أنّ الأنسب لمنع الحدّ عن بلديّتهم المخزومية هو أسامة بن زيد الحِب بن الحِب رضي الله عنهما، وهذا يشبه اتّخاذ الخيار الصحيح الوحيد والمصيب عند انعدام الخيارات ليكون وحده السبب في دفع الصخرة وإزاحة الغمّة، مثل تقديم الصلحاء للاستسقاء أو دعوتهم للرقية والدعاء ونحو ذلك؛ فقد جاء عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ فَقَالَ: "**اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا ﷺ فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا**"، **قَالَ: فَيُسْقَوْنَ**[30]، وهو من باب: "الاستسقاء بمن يرجى بركة دعائه"، كما بوّب لذلك البيهقيّ[31]، وفيه "استحبابُ الاستشفاع بأهلِ الخير والصلاح وأهلِ بيت النبوة".[32]

10- عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا قَرَأَ آيَةً، وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ خِلاَفَهَا، فَجِئْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الكَرَاهِيَةَ، وَقَالَ: "**كِلاَكُمَا مُحْسِنٌ، وَلاَ تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا**".[33]

الاختلافُ انشغالٌ عن القضايا الأساس، واندحار نحو الذات، وتكبيرٌ للصغير، وتصغيرٌ للكبير، حتى يكون الخلاف سببًا في وضع صخرة دون التقدم والانطلاق، ويظل هؤلاء المساكين سببًا في ظلم أنفسهم ومن معهم، والاختلاف ذاته ضيق وتضييق ومراوحة في المكان، ويحبس الناس في غار الانشغال عن تحقيق الأهداف العليا للمسلمين والدولة الإسلامية؛ كما يحضرنا هنا الموقف في الخلاف الداخليّ بين الصحابة الكرام رضي الله عنهم سنوات وقوع الفتنة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه؛ حيث ظلّ المسلمون خمس سنين لم يتقدموا شبرًا نحو الخارج حتى انكسرت صخرة الخلاف بتوحّد المسلمين في عام الجماعة عندما تنازل الحسن لأخيه معاوية رضي الله عنهما، فانطلق المسلمون بعد ذاك في الفتوحات ونشر الدعوة الإسلامية.

11- واجهت الدعوة الأنبيائية مواجهات شديدة من أقوامهم لتنفير الناس من حولهم وفضّهم عن مجرد الاستماع إليهم، وكان يلزمهم مع هذا حصر الأنبياء فيما يشبه الغار؛ حتى يكونوا في المجال الرؤيويّ لهم؛ ويراقبوا تحركاتهم ومن يتواصل معهم، فإذا لم يكتفوا

(29) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ المَرْأَةِ المَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا". البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، ح 3475.

(30) البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، (ك فضائل أصحاب النبي ﷺ، ب ذكر العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه)، ح 3710.

(31) يُنظر: البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى (3/ 491) ح 6427.

(32) العيني، بدر الدين، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (7/ 33).

(33) البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، ح 3476.

بهذا، وشعروا أنّ الأمر لا يؤتي أكله، تعرّضوا للأنبياء أنفسهم جسديًّا، ضربًا، وخنقًا، وبصقًا، وجرحًا، حتى يضمنوا عدم تمكّنهم من التواصل مع أحد أو نفعهم أحدًا، وربما قتلوا بعض الأنبياء، ومع ذلك فإنّ النبيّ يظل عظيمًا وذا نفس شفّاف، ويستطيع مع هذه الدرجة الراقية التي أنعم الله عليه بها أن يتجاوز ذاته، وأن يتغلب على هواتف الدعاء على قومه بالهلاك والاستئصال، فتراه يدعو لهم، ويعتذر لهم بأنهم لا يعلمون، وأبلغ من وصل إلى هذه المرحلة، رسولنا ﷺ، حتى إنه لم يأذن بإطباق الأخشبين على قريش، ولا بإهلاك دوس أو ثقيف.

عن عَبْد اللَّهِ بن مسعود: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: "**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**".(34)

12- من أعظم الأعمال التي يُتقرّب فيها إلى الله خشيتُه والخوفُ منه لا سيما في السرّ والخلوة، حتى إنه ليكون سببًا في النجاء من غضب الله وإهلاكه العبدَ إذا صحّ ذلك منه وكان فيه صادقًا؛ فقد رَغَس الله عبدًا مالًا؛ أي نمّاه وبارك فيه، وكثّره، لكنه لم يعمل صالحًا قطُّ، بل أسرف على نفسه في المعاصي، فأمر بنيه لمّا أيس من الحياة أمر بنيه إذا مات أن يحرقوه، ثم يسحقوا بقاياه، ويطحنوا عظامه، ويعرّضوها لعاصفة شديدة، ويفرقوا بعضها في البحر في يومٍ حارّ، "**فَفَعَلُوا، فَجَمَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ، فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ**".(35)

13- من خير الأعمال التي تشفع لصاحبها حتى وإن لم يكن قدّم خيرًا تجوّزه أو تجاوزه عن الناس في مديونيّاتهم سواء كانوا معسرين تجاوزًا، أو كانوا ميسورين تجوّزًا وتخفيفًا، والذي يكون من طبعه الجواز فإنه جدير بأن يحصّل مغفرة الله له، وتفريج صخرة يوم البعث وشدّته عنه؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "**كَانَ الرَّجُلُ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهُ: إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِرًا فَتَجَاوَزْ عَنْهُ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، قَالَ: فَلَقِيَ اللَّهَ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ**".(36)

14- كما كان إسقاء الكلب سببًا في رحمة الله وإزاحة صخرة العذاب عن المومس، فإنّ حبس الهرة حتى موتها تعمّدًا سبب في غضب الله وعذابه لمن يصنع بها ذاك؛ فإنّ هذه المرأة يُهديها الله سببَ رحمةٍ فتأبى إلّا أن تسدّه بيديها بصخرة القسوة والغلظة(37)، وعلاقة حديث الهرّة بالتبويب بحديث الغار أنّ المرء قد يموت من العطش رغم أنّ الماء على ظهره كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ والماء محمولٌ على ظهورها؛ ذلك أنّ المرأة سيئة التعامل مع الحيوان كان بإمكانها أن تجد لها بابًا مفتوحًا إلى مراضي الله وفكًّا لحالة إغلاق الغار عليها ومنعها من رحمة الله تعالى لو أنها أحسنت إلى الهرّة أو على الأقل لو كانت من "جماعة كارهي القطط" لتتركها في فضاء الناس حتى تجد ما يدفع جوْعتها ويسدّ حاجتها، ولكنّ المرأة كانت كمن استدعى الصخرة إلى فم الغار، كمن كتّف يديْه وألقى بنفسه للماء وهو يمنّي نفسه ألا يغرق، ولا يفعل ذلك إلا النوْكى الحمقى.

15- ولأنّ الحياء خيرٌ كلُّه، فانعدامُه سببٌ لإطالة أمد الصخرة دون التوفيق والتعرّض لرحمة الله سبحانه، وربما بقيت للأبد إذا ظل الإشكالُ موجودًا، ومن فقد الحياء فقد خيرًا كثيرًا، بل فقد الخير كله، إذ الحياء قسيم الدين، ومن فقده تجرّأ على المعاصي وأوغل فيها حتى يخرج من الإيمان!

وعن أَبي مَسْعُودٍ عُقْبَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "**إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلاَمِ النُّبُوَّةِ، إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَافْعَلْ** [فاصنع] **مَا شِئْتَ**".(38)

(34) البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، ح 3477.

(35) يُنظر: البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، ح 3478، 3479، 3481.

(36) يُنظر: البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، ح 3480.

(37) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لاَ هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلاَ سَقَتْهَا، إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلاَ هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ". البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، ح 3482.

(38) البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، ح 3483، 3484.

16- الكِبر صخرةٌ، والتواضعُ مفتاحُ النجاحِ والفلاحِ:

عن ابْن عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: "**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ مِنَ الخُيَلاَءِ، خُسِفَ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الأَرْضِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**".(39)

17- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "**نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ، يَوْمَ القِيَامَةِ بَيْدَ كُلِّ أُمَّةٍ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، وَأُوتِينَا مِنْ بَعْدِهِمْ، فَهَذَا اليَوْمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ، فَغَدًا لِلْيَهُودِ، وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى**".(40)

فنحن وإن كنا أقلَّ منهم عددًا، وأعمالُنا لا تتناسب مع إنجاز أعمارنا، إلا أن الله أدركنا برحمته وأعطانا مفتاح هذا الغار لنزيحَ صخرته، فننطلقَ في آفاق العمل وإن كان قليلا إلا أنّ الله جعل أجرنا عليه جليلا لدرجةِ أننا مع بركات نبوة أعظم الرسل وصلنا لما سبقنا إليه السابقون لنا من حيث الكمّ مع إعظامه ببركة الكيف وأسراره، وربما زدنا عليهم.

المطلب الثاني: خريطة مفاهيمية للعلاقة بين التبويبات والأحاديث تحتها:

سنعيد هندسة متون الباب (حديث الغار)؛ بحيث توافق كل مجموعة أحاديث عائلتها ذات العنوان الواحد والفكرة الواحدة؛ فتكون في سياق أكاديمي يناسب واقعنا المعاصر المعيش، وتكون أسهل في استدعاء المعلومات عنها وفوائدها؛ وذلك على النحو التالي:

1- الباب الذي ندرسه مثالًا هو باب حديث الغار من كتاب أحاديث الأنبياء، وسنجد أنّ بعده مباشرة تبويب مرسل (بابٌ)، ويستخدمه البخاريّ غالبًا للتنويع والتفريع عن الباب السابق له؛ بمعنى أنّ الأحاديث تحت هذين البابين هي ضمن تبويب: حديث الغار.(41)

2- حديث الغار ذكر صراحة تحت الترجمة التي تحمل هذا العنوان نفسه وهو الوحيد تحتها، ومجموع الأحاديث تحت البابين 23 حديثًا.

(39) البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، ح 3485.

(40) البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، ح 3486.

(41) قال الباحث: حتى لا يحدث التباس وظنّ أنّ هذا اجتهاد من الباحث، يضع ما يدلّ على هذا علميًّا:

أشار إليه ابن حجر نفسه في تراجمَ مرسلة من هذا السياق، ومنها:

- (قوله باب) كذا في أكثر الروايات بغير ترجمة وسقط من بعض الروايات وقد قررنا أن ذلك كالفصل من الباب فله تعلق بالباب الذي قبله. ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري (1/ 532)

- (قوله باب) كذا هو في الأصل بلا ترجمة وكأنه بيض له فاستمر كذلك وأما قول بن رشيد إن مثل ذلك إذا وقع للبخاري كان كالفصل من الباب فهو حسن حيث يكون بينه وبين الباب الذي قبله مناسبة. ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري (1/ 558)

- (قوله باب) كذا للأكثر بلا ترجمة وهو كالفصل من الباب الذي قبله. ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري (1/ 579)

وهذا موجود في أربعة وعشرين موضعًا تقريبًا، كلها تؤكد هذا السياق أصلا، بل إن عبد الحق المكّي في (عادات البخاري)، ص 78 أشار إلى أحسن آراء الشراح في هذه المسألة: أنه كالفصل من الباب السابق، وقد يكون دفعًا للاعتراض، أو توجيها للحديث المذكور في الأبواب السابقة، وقد يكون إرشادا للطالب إلى استخراج الأحكام بشرط أن يكون مناسبًا للأبواب السابقة.

ويضاف إلى هذا ما ذكره عبد الحق في لبّ اللباب (172/3) من أنه ليس في أكثر نسخ البخاري، لفظ: باب. ثم ذكر الأحاديث التي بعدها على أنها من الباب نفسه على السنَن الذي قرّره ابن حجر سابقا.

قال الباحث: وكل هذا واقع في حديث الغار؛ وكأنّ البخاريّ بالحديث الأول يشير إلى تعلّق كل حديث من الاثنين والعشرين بالحديث الأمّ الذي بوّب له بـ(حديث الغار).

3- بالطواف مع الأحاديث ومتابعة شرحها ومعرفة علاقتها الإجمالية بفقه البخاريّ في ترجمته نستطيع توزيعها جدوليًّا أو أكاديميًّا لتأتي في سياق خريطة مفاهيمية على النحو التالي، بحيث يشير كل بند فرعيّ إلى "عائلة" تحمل فكرة عامة تجتمع فيها أحاديث من الباب.

4- **ملاحظة:** نحتاج إلى معرفة الأسباب التي حدت البخاريّ إلى تكرار ذكر أحاديث معينة مرتين أو ثلاثًا؛ بالتحليل في النظر في المتن لا السند)، ومن الأمثلة:

- ذكر البخاريّ حديث (إذا لم تستح) مرة بالجزم بلم وحذْف حرف العلة، ومرة بإثباتها على التشبّع والمدّ الصوتيّ مبالغة في النكاية بمن لا يستحي، ومرة بـ(افعل) وأخرى بـ(اصنع)؛ لبيان المعنى على الترادف.

- ذكر البخاريّ ثلاث روايات لآمِر بنيه أن يحرقوه بعد موته، وعند جمعك هذه الروايات يبدو لك مشهد القصة كرواية متكاملة، على النحو التالي (وهو للاستفادة فقط)؛ نذكر في الجدول أدناه الروايات الثلاث، ثم غيرها في غير هذا الباب:

رقمها	ماهيّته وحالته	ما طلبه من بنيه	حواره مع ربه
3478	من قبلنا، رغسه (أكثر له) الله مالًا، خير أب لبنيه.. لم أعمل خيرًا قطّ	إذا متّ فأحرقوني، ثم اسحقوني، ثم ذرّوني (طيّروني) أو ذرُوني (اتركوني) في يوم عاصف	جمعه الله وقال له: ما حملك، قال: مخافتُك. فتلقّاه رحمتَه.
3479	حضره الموت لما أيس من الحياة، أوصى..	اجمعوا لي حطبًا كثيرًا، ثم أوْروا نارًا، حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي، فخذوها فاطحنوها فذرّوني في يوم حارّ أو راحٍ -شديد الريح-	جمعه الله فقال: لم فعلتَ؟ قال: خشيتك، فغفر له.
3481	كان يسرف على نفسه	سبب طلبه: فإنّ الله إذا قدر عليّ ليعذبنّي عذابًا ما عذّبه أحدًا	قال الله للأرض: اجمعي ما فيكِ منه، فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعتَ، قال: مخافتك.

مَسْرَحَةُ المشهد:

كان رجل ممن قبلنا أكثر الله له في ماله ونمّاه، لكنه أسرف على نفسه بالمعاصي، فلمّا حضرته الوفاة آيسًا من الموت أوصى بنيه إذا مات أن يحرقوا جثّته ثم يطحنوا عظامه ويسحقوها، ويطيّروها في يوم شديد الريح؛ لأنه استيقن أنه إذا قابل ربه بأنه معذَّب بشدة، فلمّا كان ما أراد أمر الله الأرض أن تجمع ما فيها، وسأله: لم فعلتَ هذا وما الذي حملك عليه؟ قال: خشيتك أو مخافتك، فتلقته رحمة الله ومغفرته.

قال الباحث: هذا التصوّر الكامل للمشهد لا يكون إلا بهذه الروايات الثلاث، إلّا أننا نود أن نعرف علاقتها بالباب دون روايات أخرى عند البخاريّ نفسه، وهاكم زيادات الأولى: "يسيء الظن بعمله.. خذوني فذرّوني في البحر في يوم صائف"[42]، "آتاه الله مالا وولدا.. لم يبتئز -يدخّر- خيرًا.. فإن صرت فحْمًا فاسحقوني أو اسهكوني -ومعناهما واحد-، فأخذ مواثيقهم على ذلك.. سأله الله: أي عبدي..؟ فقال: مخافتُك أو فَرَقٌ منك، فما تلافاه -ما تداركه غير المخافة- أن رحمه الله[43]، وجمعت رواية بأنّ هذا الرجل أمر بـ" فَإِذَا مَاتَ فَحَرِّقُوهُ وَاذْرُوا نِصْفَهُ فِي البَرِّ، وَنِصْفَهُ فِي البَحْرِ"[44]، لم يبتئر خيرًا .. فاسحكوني -بمعنى فاسحقوني- قال

(42) البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، ح 6480.
(43) البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، ح 6481.
(44) البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، ح 7506.

العيني: ويُروى: فأسحلوني؛ أبردوني بالمِحسل وهو المِبرد.. فأذروني: طيّروني[45]. وخلَصَت إلى عظمي فامتحشت –احترق الجلد وظهر العظم–، وكان هذا الرجل نبّاشًا –من يستخرج الموتى بعد دفنهم–[46].

والظاهر أنّ البخاريّ رأى أنّ المشهد مكتمل بذكر هذه الروايات هنا، وأنّ جمع رماده من البر والبحر متحقّق لله سبحانه، وأنّ سبب غفران الله له واضح وهو خشيته من الله، أما باقي ما جاء في الروايات الأخرى فهو على معنى هذا. لكن لم يتّضح لي لماذا ذكر البخاريّ أول روايتين وِلاءً ثم فصل بينهما والثالثة بحديث الذي كان يتجوّز في الدين!

وفي مسلم: قال رجل لم يعمل حسنة قط، لأهله.. قال: من خشيتك يا رب وأنت أعلم.[47]، راشَه الله مالا ولدًا، فَقَالَ لِوَلَدِهِ: لَنَفْعَلُنَّ مَا آمُرُكُمْ بِهِ أَوْ لَأُوَلِّيَنَّ مِيرَاثِي غَيْرَكُمْ[48]. ما امْتأز خيرًا –ادّخر–[49]، وفي رواية: فَقَالَ اللَّهُ: كُنْ فَكَانَ كَأَسْرَعِ مِنْ طَرْفَةِ الْعَيْنِ[50].

الجدول المطلوب لأحاديث الباب:

م	العائلة	الحديث، ورقمه في البخاريّ	ملاحظات
1	**صخرات تسدّ فم الغار (عدم الحياء، التكبر، عدم الرحمة)**	1– إذا لم تستحي فاصنع ما شئت. 3483 + 3484 2– بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء.. 3485 3– عذبت امرأة في هرة 3482	1– الحياء أساس في كونك مسلمًا، ومقبولًا عند ربك، ومعصومًا من مواقعة ما يشينك؛ فإذا فُقد الحياء تولدت صخرة دون الحياة. 2– الكِبر صخرة تقف دون تواضعك، وشعورك بالآخر، واكتمال إنسانيتك، ولا تُكسر إلا بانتمائك لجسم الإنسانية العام. 3– الرحمة ليست فعلًا اختياريًّا لحلّ واجبٍ والسلام، أما القسوة والغلظة فهي صخرة تحول دون العطف واللطف حتى مع عائلتك.
2	**أعمال عظيمة مفردة تمنع صخرة عذاب الله عن أصحابها، وقد يكونون استهانوا بها أو لا يعرفوا عند الله قدرها**	1– بر الوالدين، الشرف والعفّة، تنمية مال الأجير الغائب 3465 2– الرحمة الكبيرة عند المومسة التي سقت كلبًا 3467 3– خشية الله عند حارق نفسه بعد موته 3478 + 3479 + 3481 4– تجوّز أو تجاوز من كان يداين الناس 3480 5– التوبة النصوح لقاتل المئة نفس 3470	1– نحتاج للتخلص من عوائق الحياة أو صخراتها على قلوبنا وأرواحنا، وأول مراتب إمكان هذا رضا الوالدين الذي يكون بالبرّ. 2– من سقى الكلب شفقةً يكون طيب القلب، وهي طريقه للراحة النفسية والمقبوليّة، وإياك وصخرةَ اليأس من رحمة الله، اكسرها بإقبال صادق على الله، وقناعة تامّة بقبولها لك. 3– الخشية الحقيقية والصافية لله تزيل عن صاحبها عوائق الترقّي والانتشاء بالله. 4– الشعور بالآخرين ومسامحتهم والتجاوز عن ديونهم للقادر يزيل صخرات عدم التوفيق في الحياة والآخرة، ويشرع الطريق للمحبة من الناس. 5– أعظم الصخور التي نزيلها مع توبتنا الصدوق لله

(45) البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، ح 7508.
(46) البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، ح 2452.
(47) النيسابوري، مسلم، الصحيح، ح 2756.
(48) النيسابوري، مسلم، الصحيح، ح 2757.
(49) النيسابوري، مسلم، الصحيح، ح 2757.
(50) الموصليّ، أبو يعلى، المسند، ح 1047.

			سبحانه محاولات الشيطان المستمرة لتقنيطنا من رحمات الله الواسعة. ومثله حديث البطاقة، وأصيْرم الأشهليين.
3	**حل الإشكال بالعلم أو المعرفة تاريخيةً أو طبيةً ونحوهما**	1- حديث معاوية في الواصلة وبيان أنها أهلكت بني إسرائيل 3468 + 3488 2- حديث التعامل مع الطاعون بعد الفرار من بلده للقاطنين، وعدم دخوله للخارجين 3473 + 3474	1- الجهل صخرة، العلمُ مزيلها، تكرار الأخطاء صخرة وتزيلها قراءة التاريخ والاتّعاظ بدروسه، الاعتماد على معلومات غير محدّثة صخرة والتزام العلماء نجاء وعلاء. 2- ليس شرطًا أن تسعى في إزالة الصخرة دومًا، بل عند وقوع الطاعون يجب أن تحافظ على أن يظل غار المرض مغلقًا بالصخرة؛ حمايةً للإنسانية.
4	**التخطيط الإداري أو معرفة المفتاح الصحيح للصخرة**	1- الاستشفاع بأسامة لعدم إقامة حد السرقة على المخزومية 3475 2- نحن الآخِرون السابقون 3486 3- التخلص من صخرة الشبهات والشهوات عند مشتري العقار وبائعه 3472 4- عدم الاختلاف فيما يحتمل وجوهًا مقبولة 3476 5- الاستعداد المسبق لرفع صخرة الأذى من المعترضين على طريق الدعوة ولو استخدموا الضرب والإدماء 3477	1- عندما تغلق الأمور عندك في مسألة شائكة بصخرة الارتباك والتردّد، فإنّ ما يزيحها أمران؛ أن تذكر في آلية بديلة ومناسبة للتخلص من المشكل، وأن تستفيد من إمكانات الآخرين في المساعدة بذلك؛ مثل ما تقدّم الصلحاء للاستسقاء. 2- أن تعرف المفتاح التعبّدي الذي يقدِرُك على إنجاز العمل الجليل في الوقت القليل، فهذا ذاته راحة وانسجام مع الطمأنينة. 3- تسويل الشيطان استدراج، وتزيينه إزعاج، ومطاوعته صخرة لا يزيلها إلا الاستعاذة منه والمسارعة في مراضي الله. 4- الاختلاف الذي يعيق عن مسيرة الانطلاق الحضاريّ، ولا يكون من ورائه فائدة سوى الفلسفة وتضييع الأوقات يمثل صخورًا لا صخرة واحدة في تأخّرنا وتراجعنا المستمرّ. 5-
5	**رسائل المستقبل وإفادة الأجيال**	1- الذي تكلم في المهد ليريح أمه من عناء التفكير في مستقبله، وليقول لها إن الأمور قد لا تبدو على ظاهرها 3466 2- كلام البقرة والذئب، ورسالة الأولى في الرفق بالحيوان، والثاني في وجوب متابعة الحيوانات رعيًا واهتمامًا 3471	- يشكّل التفكير في مستقبل الأبناء صخرة تجثم على عقول الآباء وقلوبهم، فتأتي رسائل ربانية مطمْئنة تكسر الناموس الكوني ليتكلم الصغير في المهد، وتتكلم بعض الحيوانات؛ لتكون الرسالة ثابتة ومستقرة، وتخترق الزمان والمكان وتثبت فلا تُنسى.
6	**الإشارة إلى التفرّدات وقلة المذكورين كنسبة فتحة الغار إلى الغار نفسه**	- عمر الفاروق من المحدَّثين 3469	أصحاب المواصفات كنسبة فتحة الغار إلى الغار، ولا تخلو الأمة من خير، والخبء المتعلقة بذات الله توصل للإلهام.

الخاتمة، وفيها النتائج والتوصيات:

هذا وقد وصلنا إلى نهاية هذا البحث؛ فإننا نضع بين أيديكم أهم نتائجه وتوصياته، على ما يلي:

أولا: النتائج :

1- الذي يجمع أفكار أحاديث باب حديث الذبابة؛ أنّ الناس قد يستهينون بأمور لأنها تبدو في نظرهم صغيرة وهي عند الله عظيمة، وقد لا يلتفتون إلى حلول سهلة وميسورة وفي متناول اليد ويتأففون منها وقد يشمئزون لأنهم لم يروا الصورة المتكاملة للمشهد.

2- أما الأحاديث تحت (حديث الغار) فهي تدور حول بيان الرحمة المطلقة ليست إلا لله سبحانه.

وأنّ الناس إذا كانوا في وشدة كحالِ من انسدّت عليهم فتحةُ الغار، ولم يكن دونه إلا الله سبحانه وتعالى؛ فهو تارة -سبحانه- ينجده مباشرة كإنطاق الرضيع لأمّه، وإنجاء البقرة من ضرب صاحبها، والشاة من أنياب الذئب، والكلب من براثن العطش الشديد، ومجموع الهرَرة في محضر مقتل إحدى أخواتها ظلمًا، أو ينجيه الله تعالى بعمل صالح يقدمه بين يدي تضرّعه الصادق.

ثانيًا: التوصيات:

1- إعادة النظر في التبويبات والأحاديث تحتها التي لم يولِها الشرّاح اهتمامًا، أو حتى لو ذكروا علائقها فمن المميّز أن يكون هناك عمل دائب لربط هذه التبويبات مع الأحاديث بواقعنا المعيش.

2- استفاد الباحث مشروعَ بحث ابتدأ العمل به؛ وهو النظر في أسباب إرسال البخاريّ لبعض تراجمه في الصحيح.

المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية:

- ابن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد. (1979م)، النهاية في غريب الحديث والأثر، د.ط، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية.
- البخاري، محمد بن إسماعيل. (1422هـ)، *الصحيح*، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، بيروت، دار طوق النجاة.
- ابن بطال، علي بن خلف. (2003م)، *شرح صحيح البخاري*، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط2، الرياض، مكتبة الرشد.
- البيهقي، أحمد بن الحسين. (2011م)، *السنن الكبير*، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، مصر، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية.
- الترمذي، محمد بن عيسى. (1975م)، *السنن*، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وآخرين، ط2، مصر، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- ابن حبان، محمد بن حبان. (1993م)، *صحيح ابن حبان* "بترتيب ابن بلبان"، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط2، بيروت مؤسسة الرسالة.
- ابن حجر، أحمد بن علي. (1379هـ)، *فتح الباري شرح صحيح البخاري*، د.ط، بيروت، دار المعرفة.
- ابن حنبل، أحمد بن محمد. (2001م)، *المسند*، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرين، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- الزمخشري، جار الله محمود. (1407هـ)، *الفائق في غريب الحديث والأثر*، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ط2، لبنان، دار المعرفة.
- العيني، بدر الدين، (د.ت) *عمدة القاري شرح صحيح البخاري*، د.ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- ابن فارس، أحمد بن فارس. (1979م)، *معجم مقاييس اللغة*، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، د.ط، بيروت دار الفكر.
- القاري، الملا علي. (2002م)، *مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح*، ط1، بيروت، دار الفكر.
- الكوراني، أحمد بن إسماعيل. (2008م)، *الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري*، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، ط1، لبنان، دار إحياء التراث العربي.

– الموصلي، أبو يعلى أحمد بن علي. (1984م)، *المسند*، تحقيق: حسين سليم أسد، ط1، دمشق، دار المأمون للتراث.
الهاشمي المكي، عبد الحق بن عبد الواحد. (2007م)، *عادات الإمام البخاري في صحيحه*، ط1، تحقيق: محمد ناصر العجمي، الكويت، مكتب الشؤون الفنية بوزارة الأوقاف.
– النووي، محيي الدين يحيى بن شرف. (1392هـ)، *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج*، ط2، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
– النيسابوري، مسلم، *الصحيح*، (د.ت) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

ثانيًا: المراجع مرومنةً:

- Ibn al-Atheer, Majd al-Din al-Mubarak bin Muhammad. (1979 AD), ***The End in Gharib Hadith and Athar,*** (In Arabic), d.T, investigation: Taher Ahmad Al-Zawi and Mahmoud Muhammad Al-Tanahi, Beirut, Scientific Library.

- Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail. (1422 AH), ***Al-Sahih,*** (In Arabic), achieved by: Muhammad Zuhair bin Nasser Al-Nasser, 1, Beirut, Dar Touq Al-Najat.

- Ibn Battal, Ali Ibn Khalaf. (2003 AD), ***Explanation of Sahih Al-Bukhari,*** (In Arabic), investigation: Abu Tamim Yasser bin Ibrahim, 2nd Edition, Riyadh, Al-Rushd Library.

- Al-Bayhaqi, Ahmed bin Al-Hussein. (2011 AD), ***Al-Sunan Al-Kabeer,*** (In Arabic), investigation: Abdullah bin Abdul Mohsen Al-Turki, 1st edition, Egypt, Hajar Center for Research and Arabic and Islamic Studies.

- Al-Tirmidhi, Muhammad bin Issa. (1975 AD), ***Sunan,*** (In Arabic),investigation: Ahmed Muhammad Shaker, and others, 2nd floor, Egypt, Mustafa Al-Babi Al-Halabi Library and Press.

- Ibn Hibban, Muhammad bin Hibban. (1993 AD), Sahih Ibn Hibban, "in the order of Ibn Balban", (In Arabic), investigation: Shuaib Al-Arnaout, 2nd Edition, Beirut, Al-Resala Foundation.

- Ibn Hajar, Ahmed bin Ali. (1379 AH), ***Fath al-Bari, Sharh Sahih al-Bukhari,*** (In Arabic), d., Beirut, Dar al-Maarifa.

- Ibn Hanbal, Ahmad Ibn Muhammad. (2001 AD), ***Al-Musnad***, (In Arabic), investigation: Shuaib Al-Arnaout, Adel Murshid, and others, 1, Beirut, Al-Resala Foundation.

- Al-Zamakhshari, Jarallah Mahmoud. (1407 A.H.), ***Al-Fateeq fi Gharib Hadith and Athar***, (In Arabic), achieved by: Ali Muhammad Al-Bajawi and Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, 2nd Edition, Lebanon, Dar Al-Maarifa.

- Al-Aini, Badr Al-Din, (Dr.) ***Umdat Al-Qari Sharh Sahih Al-Bukhari,*** (In Arabic), d.T., Beirut, - House of Revival of Arab Heritage.

- Ibn Faris, Ahmed Bin Faris. (1979 AD), ***A Dictionary of Language Standards***, (In Arabic), investigated by: Abdel Salam Muhammad Haroun, Dr. I, Beirut Dar Al-Fikr.

- Al-Qari, Mullah Ali. (2002 AD), ***Mirqat al-Maftahat, Explanation of Mishkat al-Masabih***, (In Arabic), 1, Beirut, Dar Al-Fikr.

- Al-Kourani, Ahmed bin Ismail. (2008 AD), ***Al-Kawthar Al-Jari to Riyadh Ahadith Al-Bukhari***, (In Arabic), Investigation: Sheikh Ahmed Ezzo Inaya, 1st Edition, Lebanon, House of Revival of Arab Heritage.

- Al-Mawsili, Abu Yala Ahmed bin Ali. (1984 AD), ***Al-Musnad,*** (In Arabic), achieved by: Hussein Salim Asad, 1st Edition, Damascus, Dar Al-Mamoun Heritage.

- Al-Hashemi Al-Makki, Abdul Haq bin Abdul Wahed. (2007 AD), ***The Customs of Imam Al-Bukhari in his Sahih,*** (In Arabic), 1st Edition, Investigation: Muhammad Nasser Al-Ajmi, Kuwait, Technical Affairs Office at the Ministry of Awqaf.

- Al-Nawawi, Muhyiddin Yahya bin Sharaf. (1392 AH), ***Al-Minhaj, an explanation of Sahih Muslim bin Al-Hajjaj,*** (In Arabic), 2nd floor, Beirut, House of Revival of Arab Heritage.

- Al-Nisaburi, Muslim, (D.T) ***Al-Sahih,*** (In Arabic), Investigation: Muhammad Fouad Abdel-Baqi, D.T., Beirut, House of Revival of Arab Heritage.